لإيصاله إلى كافة الجنود

الدولة الإسلامية
اللجنة المفوضة

الرقم : هـ-٨- ت - ٣١
٢١ / ٨ / ١٤٣٨
التاريخ : ١٧ / ٥ / ٢٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى / كافة الولايات والدواوين والهيئات

م / (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

السّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحمةُ اللهِ وبَركاتُهُ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَنْ أَحْيَاهُ إلَى هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي يُجَدِّدُ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ وَيُحْيِي فِيهِ شِعَارَ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ حَتَّى يَكُونَ شَبِيهًا بِالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَمَنْ قَامَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِذَلِكَ كَانَ مِنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْمِحْنَةِ الَّتِي حَقِيقَتُهَا مِنْحَةٌ كَرِيمَةٌ مِنْ اللَّهِ وَهَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي فِي بَاطِنِهَا نِعْمَةٌ جَسِيمَةٌ". مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٤٢٠

أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى بعث الأنبياء والمرسلين يدعون أقوامهم إلى توحيد الله والكفر بطواغيت الأرض ومفاصلة الجاهلية، وقتال أئمة الكفر فيها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

فدعوا أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة والحكم والطاعة وموالاة أهل التوحيد ومعاداة أهل الشرك والتنديد.

قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل: ٣٦].

ولقد تتابعت الرسل على ذلك، وكان من أخصهم في هذه الدعوة خليل الرحمن (صلى الله عليه وسلم)، الذي أقام به الله سبحانه الملة الحنيفية، واصطفاها لنا فقال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [الحج: ٧٨].

وقد اشتملت هذه الدعوة على تحقيق ملة التوحيد والكفر بالشرك والتنديد؛ وترسيخ عقيدة الولاء والبراء والتي هي أوثق عرى الإيمان.

قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: ٤].

وعلى هذه العقيدة قد تتابعت الأنبياء والرسل كل يحمل راية التوحيد ويجدد للناس ما اندرس من معالم الدين.

قال تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: ٤٤].

ثم لا زالت الحرب عوانا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان حتى ابتعث الله تعالى خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بالسيف بين يدي الساعة (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ) فجدد سبحانه بمبعثه -صلى الله عليه وسلم- الملة الحنيفية.

قال تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٤].

فقام -صلى الله عليه وسلم- داعياً إلى الله تعالى باللسان والسنان حتى لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى وقد أكمل الله به الدين وأتم النعمة على الموحدين، كما قال تعالى: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**} [المائدة: ٣].

ثم قام بالأمر بعده رفيقه في الغار وشيخ المهاجرين والأنصار أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- الذي نصر الله به الدين يوم الردة وحمل العرب على دين الله بعد أن كاد أن ينجفل، وتعاقب على ذلك من بعده بقية الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، حتى ألقى الإسلام بجرانه إلى الأرض.

ثم استدار الزمان بعدما تراخت القرون بالشبهات وطال على أكثر الناس الأمد وقست قلوبهم واشتدت الغربة على أهل الإسلام، وأرز التوحيد وأوشكت أن تندرس آثاره، وتنطفي أنواره وعم البلاء حتى أصبح المتمسك بدينه وتوحيده كالقابض على الجمر، ومع ذلك تحقق وعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- ببقاء الطائفة الموحدة السنية المقاتلة على الحق كما قال: "**لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**". رواه مسلم برقم ١٩٢٢

وذلك حين أذن الله تعالى بظهور الدولة التي أقامها علماء الدعوة النجدية وأئمتها والذين قد اعذروا إلى الله في محاربة شرك القبور ودعوا إلى الله على بصيرة باللسان والسنان فألّفوا الكتب وصنّفوا وتنقّلوا في البلاد ودعوا إلى التوحيد والجهاد وقامت دولتهم قرابة سبعين عاماً على هذا، وحوربت من أجل هذا فلم يُصرّ بعد ذلك على الشرك إلا من أُشرب في قلبه حب العظام النخرة المتفرقة في القبور.

وعلى مثل ذلك قامت الدولة الإسلامية –أعزها الله بالتوحيد- التي قدمت عشرات الألوف من أبنائها لمحاربة شرك الدستور المتمثل في النظام العالمي الذي اجتمع لحربها من مشارق الأرض ومغاربها وقد علم القاصي والداني بأن هذه الدولة تحارب لتحكيم الشريعة ونبذ القوانين الوضعية الوضيعة، وهدم القباب التي تُعبد من دون الله سواء القباب التي فوق القبور أو القباب التي تعلو المجالس البرلمانية، بل ويعلم القاصي والداني أننا نكفر الطواغيت المُشّرعين ومن انتخبهم، ونكفر عباد القبور ومن جادل عنهم ونجالدهم على ذلك.

وهذا الذي دعت إليه الدولة الإسلامية منذ بداية تأسيسها على يد الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –تقبّله الله- فكفرت بطواغيت الأرض وقوانينهم وحدودهم وشرائعهم وشعائرهم وقاتلت جميع أصناف المشركين من الرافضة والعلمانيين والديمقراطيين بعد تكفيرهم وإظهار العداوة لهم وكفرت المجادلين عنهم ولأجل هذا تُقاتِل وتُقاتَل اليوم.

قال الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله-: "**ولكن سنة الله ثابتة في أن الحق والباطل يصطرعان إلى يوم القيامة، فما راق لأصحاب الباطل أن يروا أصحاب الحق يدعون الناس إلى التوحيد، وما طاب لأهل الشرك والتنديد أن يروا أهل التوحيد يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، قال تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر:٤٥]**".

وبيّن الشيخ أن أهل التوحيد لا يفرّقون في براءتهم من الشرك وأهله بين الطاغوت وعابديه وبين الرؤوس والأتباع والأنصار.

فقال الشيخ –تقبله الله-: "**وحقيقة الأمر أن معركتنا اليوم لإقامة دولة الإسلام ليست مع الحكام أنفسهم فحسب، بل مع أنصارهم وأعوانهم من جند وشرطة ومخابرات الذين شبههم الله تعالى بالأوتاد في قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر:١٠]، قال الطبري في تفسيره: "يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك أيضاً بفرعون صاحب الأوتاد، واختلف أهل التأويل في معنى قوله – ذي الأوتاد – ولِمَ قيل له ذلك؟ فقال بعضهم: معنى ذلك: ذي الجنود الذين يقوُّون له أمره، وقالوا: الأوتاد في هذا الموضع الجنود**".

وقال -تقبله الله- أيضاً: "**والمرشّحون للانتخابات: هم أدعياء للربوبية والألوهية، والمنتخبون لهم: قد اتخذوهم أربابًا وشركاء من دون الله، وحكمهم في دين الله: الكفر والخروج عن الإسلام، اللهم هل بلّغتُ؟ اللهم فاشهد**". انتهى كلامه -رحمه الله تعالى-

ولما قامت دولة الإسلام وبايع الناس أمير المؤمنين أبا عمر البغدادي -تقبله الله- ذكر أن من أعظم ثمرات إقامة الدولة نشر التوحيد فقال: "**جانب التوحيد رأس العبادات الذي لأجله أرسل الله الرسل وأنزل له الكتب وخلق الجنة والنار فالحمد لله أولا وآخرا إذ يسر لنا أن يكون أهل العراق اليوم من أعظم الناس على وجه الأرض صيانة للتوحيد ، فلا صوفية شركية يدعى لها لا أضرحة تزار ولا أعياد بدعية تقام لا شموع توقد ولا حج لوثن يعبد فقد دمر أهل العراق بأيديهم تلك الأضرحة حتى يُعبد الله وحده وبدأ الحكم بشريعة الله ليعود الأصل الشرعي: شريعة الله بدل المسخ الهجين أعني الدساتير الوضعية للغرب الكافر**". انتهى كلامه رحمه الله من خطابه حصاد السنين بدولة الموحدين.

ثم بين ثمرات الدولة وهي تجسيد هذا التوحيد بالولاء والبراء فقال: "**ففي فترة زمنية قياسية درب جيل كبير من الشباب على عقيدة الولاء والبراء المنسية – فبينما كنا نسمع في كتب السيرة والتاريخ ونتعجب من قتل ابن الجراح لأبيه وانتظار عبد الله إشارة من نبيه لقتل أبيه أبي بن سلول – صرنا اليوم نشهد بأعيننا ونسمع بأذاننا عجبا عجابا من أبناء الرافدين رغم الشبهات والشهوات – فهذا أب يقتل ابنه الجاسوس بيده – وهذه عشيرة تتبرأ من ابنها شرطي المالكي، والعجيب الغريب أن امرأة تترك زوجها وتوليه الدبر لأنه ارتد مناصراً لدولة المالكي وحزبه**". انتهى كلامه رحمه الله من خطابه حصاد السنين بدولة الموحدين.

ثم امتنّ الله تعالى على الدولة الإسلامية فتمددت إلى أرض الشام الفاضحة أرض الملاحم ومعقل الطائفة المنصورة في آخر الزمان وأعلنت الخلافة وبايع المهاجرون والأنصار وأخذوا على أنفسهم العهد والميثاق أن ينصروا هذا الدين.

فلم تبدل الدولة منهجها، ولم تساوم على دينها، ولم تفتر عزيمتها، بل مضت على ذلك الأمر لم تحاب ولم تتنكب عن الجادة، قال الشيخ أبو محمد العدناني –تقبله الله-: "**سنقاتل ونقاتل ونقاتل حتى يكون الدين كله لله، لن نتوسل الناس ليقبلوا دين الله والحكم بشرع الله، فمن رضي فهذا شرع الله، ومن كره وسخط وأبى فسنرغم أنفه، وهذا دين الله، سنكفّر المرتدين ونتبرأ منهم، ونعادي الكفار والمشركين ونبغضهم، {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}، فلا يسعنا موالاة الكفار والمرتدين من المجالس العسكرية الوطنية أو الفصائل الديمقراطية والعلمانية، كما وسع المرتدين من الجماعات المسماة إسلامية، فنتحالف معهم ونظاهرهم، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، وقال: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}، ولا يمكننا أن نداهنهم ونسارع فيهم، فلا نكفر بشركهم، ولا نعلن لهم العداوة والبغضاء، ونظهر لهم الإخاء والمحبة والولاء، كما تفعل قاعدة الشام جبهة الردة الخاسرة، فإن لم نظهر للكفار العداوة والبغضاء ضاع الولاء والبراء، وذهب معه الدين واختلط الكافرون بالمؤمنين.**

تظنون أن الدين لبَّيك في الفلا ... وفعل صلاة والقتال مع الملا
وسالم وخالط من لذا الدين قد قلا ... وما الدين إلا الحب والبغض والولا
كذاك البرا من كل غاوٍ وآثم". انتهى كلامه رحمه الله.

هذا هو منهج الدولة الإسلامية -أعزها الله بالتوحيد- أما التصريحات التي تميع عقيدة الولاء والبراء وتدفن ملة إبراهيم -عليه السلام- بشبهات أهل الأرجاء والتجهم، وكذلك أقوال أهل الغلو الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فالدولة بريئة منها، ولا يحق لأحد أن يتكلم باسمها أو ينسب إليها قولاً لم تقل به، فقولها ما قال إمامها – أعزه الله بالتوحيد- ومفوضيه، أو متحدثها الرسمي.

أما التخرص والقول بالظنون فهي من القول بغير علم، وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك فقال: {**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**} [الإسراء: ٣٦].

وقال عز شأنه: {**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**} [النساء: ٨٣].

وقد خالف ذلك صنفان من الناس:

الصنف الأول: من نسب إلى الدولة أقوالا إرجائية مخالفة لمنهجها، أو زعم أن ما يتبناه أو يقول به هو قول الدولة الإسلامية –أعزها الله بالتوحيد-، والدولة الإسلامية من هذا الزعم براء، وهؤلاء على أضرب:

فمنهم: من كان يقول بإسلام من لا يكفر طاغوت قومه ويزعم أنه قول الدولة الإسلامية، والدولة الإسلامية بريئة من هذا القول، بل هي تكفر الطواغيت ومن جادل عنهم ولم يكفرهم ولا كرامة.

ومنهم: من كان يجعل تكفير المشركين مسألة خفية أو خلافية، ويضع للعمل بها قيوداً ثقيلة بحيث يؤدي إلى تعطيل الناقض الثالث جملة وتفصيلاً، وبالتالي فلا يكفر عنده من توقف في عابد الصنم مطلقاً وبكل أحواله سواءً عد فعله من قبيل الشرك أو لا إلا بعد التعريف، وكذلك لا يكفر عنده المتوقف في ساب الله تعالى إلا بعد التعريف، وزاد على ذلك فنسب إلى عمر -رضي الله عنه- عدم تكفير مانعي الزكاة ليوهم أن الصحابة مختلفون في تكفير المشركين بزعمه، والأدهى من ذلك أنه يزعم أن هذا القول الذي جاء به هو قول الدولة الإسلامية! وهذا محض افتراء بل لقد علم القاصي والداني أن الدولة الإسلامية -أعزها الله بالتوحيد- لم تتوقف يوماً في تكفير المشركين، وأنها تجعل مسألة تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة، والتي معرفتها تجب قبل معرفة الصلاة وسائر الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة، كما في بيانها الصادر عن المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية في حكم المتوقف في تكفير المشركين في ١٤٣٧/٨/٢٢هـ.

ومنهم: من كان يبيح شرك التحاكم إلى الطاغوت بدعوى الضرورة التي ينزلها منزلة الإكراه.

ومنهم: من كان يرد إجماع الصحابة على تكفير الطوائف الممتنعة.

ومنهم: من يتوقف في تكفير المنتخبين بدعوى جهلهم لحقيقة الانتخابات.

ومنهم: من لا يتبرأ من علماء الطاغوت الداعين إلى الشرك.

أما الصنف الثاني: من طعن فيها بل وكفرها لتأثره ببدعة الخوارج والمعتزلة، فعاب بعضهم عليها أقوالا هي محض قول أهل السنة والجماعة جهلا منه بمنهج وأقوال أهل السنة، ونسب البعض الآخر إليها أقوالا لم تقل بها أصلا، سبحانك هذا بهتان عظيم، وهؤلاء على أضرب أيضاً:

فمنهم: من كفرها لأنها لا تقول بالتسلسل البدعي الذي أحدثته المعتزلة، وهذا حقٌ وهي تجري في ذلك على مقتضى قول أهل السنة والجماعة.

ومنهم: من نسب إلى الدولة أنها تؤصل الإسلام في ديار الردة (الكفر الطارئ)، وهذا كذبٌ على الدولة الإسلامية ومحض افتراء.

ومنهم: من كفرها بدعوى أنها تبيح فعل الكفر الصريح لمصلحة الحرب وكذبوا.

بل أن صريح معتقد الدولة الإسلامية في ذلك: أن الشرك الأكبر والكفر الأكبر الصريحين لا يجوز ارتكابهما إلا بالإكراه قال تعالى: {**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [النحل: ١٠٦].

قال ابن القيم: "**وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِذْنُ فِي التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ لِغَرَضٍ مِنْ الْأَغْرَاضِ، إلَّا الْمُكْرَهَ إذَا اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ**".
اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤١

وهذا هو قول الدولة الإسلامية في المسألة ومعتقدها، ولكن غلط هؤلاء دخل عليهم من جهة الجهل وعدم التفريق بين ما يكون من الشرك والكفر الصريحين وما يكون من المعاريض التي يرخص بها للضرورة كما في حديث محمد بن مسلمة وغيره، ولقد صدق من قال:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

ومنهم: من انقلب على عقبيه، فنكل عن بيعته؛ وهرب إلى ديار الكفر متذرعاً بدعوى وقوع الخطأ والتقصير والتفريط والظلم من بعض الأمراء، وهذا عين فعل الذين خرجوا على عثمان -رضي الله عنه-، وتلك لعمرُ الله مطيةٌ لا يعجز عن ركوبها أحد، إذا لم يتق الله ويراقبه في جميع ما يأخذ ويدع، لأن الخطأ والتقصير والتفريط والظلم، مما لا يقدر أن يتحاشاه أحد في نفسه ولا أهل بيته إلا ما شاء الله تعالى، ولكن غاية ما يريد هؤلاء أن يسوغوا لأنفسهم الهروب من دار الإسلام إلى ديار الكفر.

فهل تفكر هؤلاء المخذولون بما صار إليه أمرهم من ابتغائهم أرضاً تعلوها أحكام الكفر بدلاً عن أرض تعلوها أحكام الإسلام، ورضاهم بمساكنة أهل الكفر والفجور بدل مساكنة أهل الدين والصلاح، {**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**} [البقرة: ٦١]، وهذا إذا سلم لهم دينهم، وأنى لهم ذلك، وهيهات!!

وأما من ادعى النصيحة للأمراء على وجه التشنيع والتشهير والإرجاف والتخذيل وبطريقة لا تفرح إلا الأعداء من الكفار والمرتدين والمنافقين فأحسن أحواله أنه مخالف للكتاب ومنابذ للسنّة ومجافٍ لطريقة السلف في نُصح الأمراء.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "**نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلا تَغِشُّوهُمْ وَلا تَبْغَضُوهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ واصبروا فإن الأمر قريب**". رواه ابن عاصم في السنّة برقم ١٠١٥

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "**مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ**". رواه ابن عاصم في السنة برقم ١٠١٧

وقَالَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمِ لِهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**". رواه ابن أبي عاصم في السنة ١٠٩٦

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: "**وَإِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرْءِ طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ**". رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٨٩٥٩

قال الفضيل -رحمه الله-: (**المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويُعيّر**). الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب ص ١٧

وهذا الذي يزعم الإصلاح بهذه الطريقة إما جاهل مغفل أو هو متّهم على الإسلام وأهله.

وإلا أما علم هذا المشّغب الذي يزعم الإصلاح: أنَّ من أصول أهل السنة والجماعة طاعة ولاة الأمور في طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩].

وقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَد أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**". متفق عليه (٢/ ٢٤٥)

فحدود الطاعة ما جاءت به الشريعة، وهو إيجاب الطاعة والانقياد لولي الأمر بالمعروف، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، والأثرة على المسلم، فإذا أمر ولي الأمر بشيء مشروع، وجبت طاعته، وإذا أمر بمندوب وجبت طاعته، وإذا أمر بأمر تكرهه النفوس وجبت طاعته أيضاً، لأن الطاعة فيما تُحب النفوس أو تكره.

وكذلك إذا أمر بشيء مما يرى فيه صلاح جماعة المسلمين والحياطة لهم، وإن ترتب عليه لحوق الضرر ببعضهم وجبت طاعته في ذلك، حتى لو لم يدركوا وجه هذا الصلاح.

وهب أنه وجد من أميره ما يكره، مما هو دون الكفر البواح المخرج من الملة، أليس واجباً عليه أن لا ينزع يداً من طاعة ولا يشق عصا الجماعة، أما بلغته الآيات والأحاديث والآثار التي تحث المؤمن على السمع والطاعة والصبر على أمرائه فيما يأمرونه به من أمور المنشط والمكره والعسر واليسر، بل حتى بما يجد فيه استئثاراً بدنياهم دونه، ما لم يرَ منهم كفراً بواحاً.

والأحاديث الصحيحة والآثار في هذا الباب كثيرة مشهورة معلومة لمن تأمل ولو قليلاً في كتب السلف، منها:

حديث عبادة بن الصامت –رضي الله عنه- قال: «**دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأُثْرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**». متفق عليه (٢/ ٢٤٦)

وحديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**". صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٨)

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "**سَتَكونُ أُثَرَةٌ وَأُمورٌ تُنْكِرُونَهَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكمْ**". متفق عليه (٢/ ٢٤٨)

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث الحارث الأشعري: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ آمُرَكُمْ بِخَمْسٍ كَلِمَاتٍ: عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْهِجْرَةِ، فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ قَوْسٍ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ، وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ**". المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٣٠٢)

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، يُعَلِّمَانِ الرَّجُلَ إِذَا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ يَقُولَانِ: «**تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ لِمِيقَاتِهَا، فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِهَا الْهَلَكَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُكَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وتَسْمَعَ وَتُطِيعَ لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ الْأَمْرَ**» قَالَ: وَقَدْ قَالَا لِرَجُلٍ: «**وَتَعْمَلَ لِلَّهِ وَلَا تَعْمَلَ لِلنَّاسِ**». الإيمان للعدني (ص: ١١٥)

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "**إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر**". عيون الأخبار (٤/ ٣)

وقال الحسن في الأمراء: "**هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون**". العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين (ص: ١٤٩)

قال البربهاري -رحمه الله-: "**وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها الا في السلطان قيل له يا أبا علي فسر لنا هذا قال إذا جعلتها في نفسي لم تعدني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين**). شرح السنة للبربهاري (ص: ٥١)

ومعنى ذلك أنَّ أهل السنَّةِ يصبرون على ولاة امورهم وينصحونهم ويعظونهم سراً ولا يسعون لتأليب العامة والرعاع عليهم ولا يكونون عوناً للكفار على دولتهم وولاة امورهم ومعلوم أن ذكر مثالب الأمراء وأخطائهم في المجالس الخاصة والعامة لا يفضي إلا إلى شر، و«**كُلُّ مَا يُفْضِي إِلَى حَرَامٍ فَهُوَ حَرَامٌ**»، و«**الوَسَائِلُ لَهَا حُكْمُ المَقَاصِدِ**» من فقدان للثقة بين الجنود والأمراء وسوء الظن بالأمراء ونزع هيبتهم ما يؤدي إلى الشقاق وفساد ذات البين.

جاء في تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٧): "وَقَالَ الصَّبَّاحُ بْنُ سِوَادَةَ الْكِنْدِيُّ: سَمِعَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ} الآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى الْوَالِي وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهَا عَلَى الْوَالِي وَالْمُوَلَّى عَلَيْهِ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا لَكُمْ عَلَى الْوَالِي مِنْ ذَلكم، وَبِمَا لِلْوَالِي عَلَيْكُمْ مِنْهُ؟ إِنَّ لَكُمْ عَلَى الْوَالِي مِنْ ذَلِكُمْ أَنْ يُؤَاخِذَكُمْ بِحُقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَأَنْ يَأْخُذَ لِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنْ يَهْدِيَكُمْ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ مَا اسْتَطَاعَ، وَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ الطَّاعَةَ غَيْرَ الْمَبْزُوزَةِ وَلَا الْمُسْتَكْرَهَةِ، وَلَا الْمُخَالِفَ سِرُّهَا عَلَانِيَتَهَا".

فانظروا كيف قال: والواجب على المسلم في ذلك كله السمع والطاعة غير المبزوزة ولا المستكرهة ولا المخالف سرها علانيتها وهذا معناه: الرضا والقبول وإحسان الظن بولي الأمر، وليس من الطاعة غير المبزوزة للأمير الهمز واللمز والتعريض والتحريش والتحريض بدعوى الإصلاح كما يدع هؤلاء الذين استزلهم الشيطان.

فهلا تأمّل المخذولُ وصيةَ النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على الأمراء أعراباً كانوا أو أحباشاً، أبراراً كانوا أو فجاراً، ولو آثروا أنفسهم بشيء من حظوظ الدنيا الفانية، وأن يُعرف لولاة الأمور قدرهم ويطاعون بالمعروف ما لم يأمروا بكفر بواح.

وهلا تأمّل كيف وصف السلفُ الطاعنَ في الأمير بالنفاق والبدعة، ومعلوم أن الطعن هو غير النصح بالمعروف وغير إنكار المنكر بل هو القدح والتجريح والتشهير ونشر المساوئ وإخفاء المحاسن، وليس كما يتبادر إلى أذهان البعض ممن غلبته نفسه الأمّارة بالسوء فصورت له الطعن بطولة والذّم شجاعة والغيبة صدعاً بالحق وشقّ الصف مباينة للظلمة والله المستعان.

عن عبدِ الله بنِ عمرو، قال: قال رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلم-: "إنها **ستكون فتنةٌ تستنظِفُ العرَبَ، قتْلاها في النَّارِ، اللسانُ فيها أشدُّ مِنْ وقْعِ السَّيفِ**". رواه أبو داود برقم ٤٢٦٥

"**جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَحْيَا بِهِمُ السُّنَنُ، وَتَمُوتُ بِهِمُ الْبِدَعُ، وَتَقْوَى بِهِمْ قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَتَنْقَمِعُ بِهِم نُفُوسُ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ**". انظر الشريعة للآجري ١/ ٢٧٠

{**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**} [البقرة: ٢٨٦].

وجزاكم الله خيرا...

نسخة إلى:
اللجنة المفوضة في الولايات الشرقية.
أرشيف:٢-٣-٤-٥

اللَّجْنَةُ المُفوَّضَة

الدولة الإسلامية
اللجنة المفوضة